الجذور الفلسفية للنظرية التوليدية التحويلية

الأستاذة منيرة العبيدي
جامعة حمه لخضر- الوادي

ملخص: لقد لقيت النظرية التوليدية التحويلية اهتماما لسانيا كبيرا ، لما تميزت به من بساطة في التحليل ، وحداثة في الأفكار.إلا أن المتتبع لمراحل تطور الفكر البشري عموما ، ومسار الدراسات اللغوية خصوصا ، يلاحظ تقاطع الأفكار التشومسكية مع الأفكار الفلسفية ، خاصة في مسألة فطرية المعرفة اللغوية وبداهتها. وهذا ما يدل على أن للنظرية التشومسكية جذورا فلسفية ، نكشف عنها في هذا المقال.

CONCLUSION: The generative transformation theory received considerable linguistic attention, which was characterized by its simplified in level of analysis and modern ideas. However, the following stages of evolution of human thought generally, and interested in language study in particular, demonstrated the mutual relations between the ideas of Chomsky and other philosophical ideas such instinct is distinguished in and clear and raved indicating provided to Chomsky's theory has many of the philosophical roots .we will try to discovered in the article raved

La théorie génératives transformation ont reçu une attention linguistique considérable, ce qui a été caractérisé par son simplifies en niveau d'analyse et leur modernité des idées. Toutefois ,les suivants des étapes d'évolution de la pensée humaine généralement ,et les intéressés des études linguistiques en particulier , démontres les relations communs entre les idées du Chomsky et les autres idées philosophiques notamment L'instinct soit distingué dedans et évident , et déliré ce qui indique à condition que pour la théorie de Chomsky a plusieurs des racines philosophiques .essayé de la découvre dans l'article déliré.

ظهرت النظرية التوليدية التحويلية في الخمسينيات و بالضبط سنة 1957 **بظهور كتاب "البنى التركيبية "** Syntactic structures" **لصاحبه الأمريكي نعوم تشومسكي** naom chomsky **أستاذ اللسانيات بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا.**

وتعد هذه النظرية - بحق - نقطة تحول في مسار الدراسات اللغوية ،لأنها رسمت لنفسها طريقا خالفت فيه ما سبقها من نظريات منهجا ،وهدفا ،وأدوات . وهذا لا يعني مطلقا أنها أهملت أفكار من سبقها ، بل تناولتها بالدرس والنقد . فرفضت منها ما يتعارض

مع وجهة نظرها ، وأخذت منها ما يمكن صقله والاستفادة منه في تحليلاتها وتفسيراتها الخاصة.

فإذا كانت النظريات السابقة تعتمد على المنهج الوصفي في دراستها للغة ، فإن النظرية التوليدية التحويلية تعتمد على **الوصف والتفسير معا** ،لأن غايتها لا تقف عند وصف ظاهر البنى اللغوية وحسب بل تتعداها لمحاولة فهم الطبيعة البشرية وتحليلها . فهي نظرية تبحث في علاقة اللغة بالفكر ، وهذا ما جعل صاحبها **تشومسكي** يصفها بالخطوة الجريئة التي حولت مسار الدراسات اللسانية من العالم المحسوس إلى العالم الميتافيزيقي المجرد. فقال : <إن علم اللسان البنيوي كان يقتصر على (وصف اللغة)دون الامتداد إلى (تفسيرها) والخطوة الجديدة (والجريئة)التي أخذ **تشومسكي** على عاتقه إنجازها هي القيام بطفرة كفيلة بنقل (اللسانيات)من المرحلة الوصفية إلى مرحلة النظرية أو التفسيرية>.1

وهكذا صارت نظريته تمثل مركز استقطاب لمجالات معرفية متعددة لا سيما منها الفلسفة وعلم النفس .فما هي علاقتها بالفلسفة ؟ ثم ما هي علاقتها بعلم النفس؟

إن جذور هذه النظرية فلسفية بحتة ، لأن موضوعها هو العقل البشري وما يحدث فيه من آليات يتمخض عنها مجموع الجمل التي تعبر عن المعاني والحقائق الكامنة في الذهن. فهي نظرية تبحث في الظاهر والخفي معا. وكذلك الفلسفة هي علم يبحث في ظاهر المعارف وخفيها.

فظاهر هذه النظرية يتمثل في دراستها للبنيات السطحية اللغوية ،وأما باطنها فيتمثل في دراستها لطريقة بناء الفكر الإنساني لهذه البنى اللغوية (الجمل) .وهذا يعني أن دراستها الباطنية تصف وتفسر معرفة المتكلم بلغته ، وبهذا فهي تفتح للسانيات نافذة على عالم الماورائيات أو ما يسمى بـ الميتافيزيقيا الذي له علاقة بالفلسفة ، كما تفتح نافذة اخرى على عالم الإدراك والاكتساب الذي له علاقة بعلم النفس اللغوي.

وعليه ،وقبل تفصيل القول في أصور(جذور) النظرية التوليدية التحويلية، نعرف بموضوعها ،وفق نظرية صاحبها ، لنتمكن من الربط بين القديم والحديث وفق إسقاط لساني دقيق.

1- **موضوعها:**

يرى تشومسكي أن أي طفل يولد في بيئة ما ، ويترعرع فيها ، قادر على أن يتكلم بلغة هذه البيئة بطريقة عفوية ، وأن ينتج عددا لا متناهيا من جملها . كما أنه قادر على فهم و إدراك عدد غير محدود من جملها التي يسمعها أو يقرأها حتى لو لم يسبق له أبدا لفظ أكثرها أو سماعه . وذلك بالعودة إلى قواعد كامنة في ذهنه والتي وجدت فيه بوجوده في الحياة.2

وهذا يعني ، أن معرفة الإنسان بلغته تمثل خاصية مشتركة بين بني البشر ، ويعني أن عقل الإنسان يحوي بنيات ذهنية فطرية تساعده على معرفة لغته .اذ أن معرفة الإنسان بلغته هي معرفة فطرية.

وعليه، **فالهدف** من البحث اللساني في النظرية التوليدي التحويلي ، هو تحديد **خصائص المعرفة اللغوية** عند التكلم (أي علم المتكلم بلغته) . فامتلاك الإنسان للقدرة على التكلم بلغة ما ، دليل على أن هناك شيئا متصورا عن هذه اللغة في ذهن متكلمها ، ومن ثم في العقل الذي سيحدد الألفاظ ودلالاتها وكذا العلاقات الرابطة بينها . وهكذا يتحدد موضوع النظرية التشومسكية على أنه دراسة معرفة المتكلم بلغته بالكشف عن القواعد الكامنة في ذهنه.

وفي هذا الإطار ظهرت عند تشومسكي مجموعة من المصطلحات هي:

المعرفة اللغوية-الملكة الفطرية - التوليد - التحويل - الكفاية اللغوية والأداء الكلامي - النحو الكلي - البنية العميقة والبنية السطحية - الجملة الأصولية واللاأصولية - الحدس....

وهذه الأفكار هي التي سنبحث عن جذورها الفلسفية واللسانية.

2- **الجذور الفلسفية للنظرية التشومسكية :**

إن اعتقاد تشومسكي بأن الدماغ البشري يحوي أفكارا تصورية عن اللغة مصدرها بنيات ذهنية فطرية تمثل قواعد نحوية كلية فيه ، هي فكرة فلسفية تعود في جوهرها الأصلي إلى **ديكارت** الذي يرى أن إدراكنا للعالم الخارجي ناتج عن أفكار موجودة في أذهاننا ، وأن هذه الافكار خارجة عن إرادتنا ،امتلكها الإنسان لأن لديه قوة انفعالية تتأثر بالأشياء الخارجية وتتفاعل معها لتثير في ذهنه ما يملكه من أفكار عن هذه المحسوسات[3]

كما يرى <<أن تأويلنا للعالم مبني جزئيا على أنساق تمثيلية من بنية الذهن نفسه ولا تعكس بصفة مباشرة شكل الأشياء في العالم الخارجي >>[4]

ومن خلال هذه المقاربة بين فكر تشومسكي وديكارت، يتبين لنا أن تشومسكي قد أسس هذه النظرية بعد مطالعة معمقة في تاريخ الفكر الفلسفي الأوروبي مركزا في قراءاته على أفكار عمالقة الفلسفة وهم : سقراط وأفلاطون وأرسطو وديكارت.

وبناء على هذا ، فأن بذور الأفكار **التوليدية** عند تشومسكي ، تعود إلى سقراط الذي يرى أن الوصول إلى المعرفة الحقيقة البديهية يكون بثلاثة طرق ، وهي :

التعريف الاستنباطي أو الحوار الجدلي أو التهكم والتوليد ، وهذه الأخيرة هي التي استوحى منها تشومسكي أفكاره . فالتوليد –عنده - معناه إنتاج عدد لا متناه من الجمل ، أي توليد وإنتاج عدد لا متناه من الأفكار. ويتم ذلك بواسطة مثيرات لغوية أو غير لغوية . بمعنى أن المتكلم ينتج هذه الجمل التي تحتوي أفكارا متعددة عندما

ما يكون في حالة تخاطب مع الآخرين أو عند تأثره بعامل خارجي ، يثير حافزته اللغوية ، كأن يرى موقفا غريبا فيعلق عليه دون شعور.

وكذلك توليد المعرفة عند سقراط فهو يتم عن طريق مثير يسمى بـ **التهكم** ويكون على مرحلتين:

المرحلة الأولى : يتظاهر فيها سقراط بالجهل التام ثم يوجه مجموعة من الاسئلة إلى محدثيه دون أن يقدم رأيه ، فيناقشهم حتى يوقعهم في التناقض ويقروا بجهلهم ، فيستخرج من عقولهم الأفكار و المعارف الكامنة في نفوسهم .

المرحلة الثانية : وهي مرحلة "التوليد" ، حيث يساعد فيها سقراط محدثيه على تنسيق أفكارهم السابقة وتنظيمها عقليا للوصول إلى الأفكار الصحيحة أي توليد المعرفة الصحيحة اليقينية.[5]

ومما سبق ،يتبين أن **فكرة التوليد** - كمنهج - فكرة قديمة أما الجديد فيها فيتعلق بالغاية أو النتيجة التي هي - عند سقراط - البحث عن المعرفة المرتبطة بالجانب الاخلاقي في النفس الإنسانية ،فهي معرفة معنوية فقط . أما عند تشومسكي ، فهي البحث عن المعرفة المتعلقة بالجانب اللغوي الإنساني .فهي معرفة مادية ومعنوية معا لأنها تعتمد في انطلاقها على الجمل المولدة أو المنطوقة ، لتصل الى موضوعها ، وهو معرفة طبيعة النظام اللغوي الممثل في دماغ الإنسان ، والمسؤول على إنتاج هذه الجمل المحسوسة .

وفي هذا ، يقول تشومسكي:<<إن دراسة النحو التحويلي حولت مركز الاهتمام من السلوك الفعلي أو الممكن من نتائج السلوك إلى دراسة نظام المعرفة التي تكمن وراء استخدام وفهم اللغة . و بصورة اكثر عمقا ،حولت هذه الدراسة مركز الاهتمام الى الموهبة الفطرية التي تجعل من الممكن للبشر ان يحصلوا على مثل هذه المعرفة .و كان التحول في الاهتمام تحولا من دراسة اللغة المجسدة إلى دراسة اللغة المحصلة والممثلة داخليا في العقل / الدماغ.والنحو التحويلي ليس قائمة من القضايا خاصة بموضوعات مجسدة مؤلفة بصورة ما ، بل يدعى بالأحرى أن يصور بالضبط ما يعرفه المرء عندما يعرف اللغة ،أي ما قد عرف كشيء كملته المبادئ الفطرية . والنحو الكلي هو تحديد لهذه المبادئ النظرية المحددة بيولوجيا التي تؤلف مكونا واحدا من مكونات العقل الإنساني وهو ملكة اللغة >>.[6]

من هذا القول ، يتبين أن موضوع نظرية تشومسكي يرتكز على ثلاثة أمور وهي :

- تحديد طبيعة المعرفة اللغوية عند الإنسان
- طريقة اكتسابها
- كيفية استخدامها

وحتى يصل إلى ذلك انطلق من الأسئلة التالية:[7]

1- مم تتألف المعرفة اللغوية ؟

2- كيف تكتسب المعرفة اللغوية؟

3- كيف تستخدم المعرفة اللغوية؟

إن هذه الاسئلة لها علاقة بما يسمى بـ: **مشكلة المعرفة أو نظرية المعرفة** the theory of knowledge.وهي نظرية تبحث في مبادئ المعرفة الإنسانية وطبيعتها ومصدرها وقيمتها وحدودها وفي الصلة بين الذات المدركة والموضوع المدرك . كما تناقش الافكار المتعلقة بأشكال ومناهج المعرفة والحقيقة ووسائل بلوغها.

والبحث في **مشكلة المعرفة** الإنسانية قديم ، ظهر بظهور الفلسفة التي جعلت منه فاتحة تساؤلاتها ومحور نقاشاتها . ففي مسألة **إمكانية المعرفة** لدى الإنسان ، طرحت التساؤلات التالية : هل بمقدور الإنسان أن يدرك جميع الأشياء رغم علاقته المحدودة بالعالم الخارجي ؟ وهل بمقدوره أن يصل إلى جوهر ما عرف ؟ وهل بمقدوره فيما بعد أن يقتنع ويثق بصدق ما أدركه وصحة ما توصل إليه؟

أما عن البحث في **مصادر المعرفة** ، فطرقت التساؤلات التالية : كيف يستطيع الإنسان أن يتعرف على ماهية ما يحيط به من مدارك مادية ومعنوية ؟ كيف يعرف أن هذا كرسي أو قلم أو طاولة ؟ كيف يستطيع التفريق بينهما ؟ أيصل إليها بالحواس أم بالعقل أم بالحدس؟

أما عن البحث في **طبيعة المعرفة** ، فطرح السؤال التالي : هل المعرفة التي يمتلكها الإنسان مثالية أم واقعية ؟ أي هل هي معرفة فطرية أم معرفة مكتسبة؟[8]

إن إجابة السؤال الاخير كانت مثار جدل كبير بين الفلاسفة ، فهناك من رأى أن معرفة الإنسان **فطرية** يوجدها الله في الإنسان بمجرد أن يبصر النور ، وهناك من رأى أنها **مكتسبة** يحصل عليها الإنسان من خلال اتصاله و احتكاكه بموضوعات العالم الخارجي.

وفيما يبدو ، فإن تشومسكي ، في تحليله للمعرفة اللغوية ، قد نحا منحى الفلاسفة القائلين بفطرية المعرفة . ويتبين ذلك في قوله:حولت هذه الدراسة مركز الاهتمام إلى الموهبة الفطرية .ويقصد بها **الملكة اللغوية.**

وحتى يثبت فرضية امتلاك دماغ الإنسان لقواعد فطرية تتحكم في بنيات هذه الملكة ، طرح سؤالين. **أولهما** : كيف يمكن أن نعرف هذا القدر الكبير جدا إذا ما سلمنا بأن ما لدينا من أدلة هو من النوع المحدود جدا ؟ وهو نفس السؤال الذي طرحه برتراند راسل Bertrand Russell في كتابه المعرفة البشرية حيث قال:كيف تأنى أن تكون الكائنات البشرية رغم أن اتصالاتها بالعالم قصيرة وشخصية ومحدودة ، قادرة على أن تعرف هذا القدر الكبير الذي تعرفه فعلا؟[9]

أما **ثانيهما** ، فهو : إلى أي مدى يمكن للدراسة العلمية للغة أن تساهم في فهم الطبيعة البشرية ؟ أي في تفسير هذه الملكة اللغوية؟10

إن جواب تشومسكي على السؤال الأول ، كان بتنبيه **لأفكار أفلاطون** Platon 427-347 ق م

الذي يرى أن المعرفة لدى الإنسان غريزية قبلية .فهذا الأخير يعتقد أن الإنسان لا يكتسب المعرفة ، وإنما يعيد اكتشافها من جديد عن طريق التذكر . وعلة ذلك أن النفس البشرية عندما كانت في عالم المثل تعلمت كل شيء ، وأطلعت على الصور المثلى. ولما هبطت إلى الأرض ، اتصلت بالجسد ونسيت ما كانت قد عرفته. ولأن ما عرفته في عالم المثل يتسم بالكمال والثبات والصحة والمطلقة ، وما تراه في العالم المحسوس يتسم بالنقصان والتشوه - لأنه محاكاة لما هو في عالم المثل - فإن النفس كلما رأت شيئا في عالمنا سألت ذاتها عن ذلك الشيء ، وبهذا الحوار تتضح لها ماهيته قليلا أو كثيرا ، فتتذكر النفس أنها كانت قد رأت مثل صورة هذا الشيء في عالم المثل.11

ولقد سبق **سقراط** أفلاطون في تبني فكرة **المعرفة الفطرية** ،عندما رأى أن مصدر المعرفة هو العقل وأن المعرفة حقيقة ثابتة ، وجوهر العقل واحد مشترك بين الناس ، وأن وراء هذا العالم المحسوس عالما مثاليا ثابتا ، تعجز الحواس عن إدراكه وفي الإنسان قوة غير حسية تدرك هذا العالم المثالي وتخلد بعد الحياة الدنيا مثابة أو معاقبة.12

ولقد تبلورت هذه الفكرة في القرن السابع عشر على يد أبي الفلسفة الحديثة **رينيه ديكارت** renne Descartes الذي حاول البرهنة على أن المعرفة الحقيقة هي التي تتميز بالوضوح والبداهة ومادام حقل هذه المعرفة هو العقل فقد مجده وجعله مقياسا للتمييز بين الخطأ والصواب لا سيما وانه يمثل قاسما مشتركا بين الناس وأن حظوظهم منه متساوية بغض النظر عن اختلافهم من حيث اللغة والعقيدة والوطن وفي هذا إشارة إلى امتلاك العقول البشرية إلى بنيات ذهنية واحدة تكون سببا في اشتراك الناس في خاصية المعرفة الفطرية ولقد عبر ديكارت عن ذلك في كتابه مقال المنهج فقال:العقل هو أحسن الأشياء توزعا بين الناس إذ يعتقد كل فرد أنه أوتى منه الكفاية حتى الذي لا يسهل عليهم أن يقنعوا بحظهم من شيء غيره ليس من عادتهم الرغبة في الزيادة على ما لديهم منه وليس براجع أن يخطئ الجميع في ذلك بل الراجع أن يشهد هذا بأن قوة الإصابة في الحكم وتمييز الحق من الباطل هي التي تسمى بالعقل او النطق تتساوى بين كل الناس بالفطرة وكذلك يشهد بأن اختلاف آرائنا لا ينشأ من أن البعض أعقل من البعض الآخر.13

لقد شك ديكارت في كل المعارف التي حصل عليها إلا شيئا واحدا لم يكن بمقدوره أن يشك فيه وهو وجوده لذا كانت فكرته المسماة **بالكوجيتوا**: أنا أفكر إذا أنا موجود تمثل المبدأ الأول الذي تقوم عليه فلسفته وهي بنظره القضية اليقينية الأولى لأنها تتصف بالبداهة والصدق المطلق ومن ثمة أصبح الوجود الذهني عنده أسبق من الوجود المادي بمعنى أن المعرفة قبلية وفطرية في نظره كما صار معنى التفكير عنده يمثل مختلف العمليات العقلية التي تحدث في دماغ الإنسان من إدراك وتصور وتذكر...الخ وفي هذا القول : انا شيء يفكر أي أنا روح أو إدراك أو عقل وأنا والحالة هذه شيء صحيح وموجود حقا لكن أي شيء أنا هو؟...أنا شيء يفكر وما هو الشيء الذي يفكر؟ هو شيء يشك ويتذهن وينفي ويريد ويرفض ويتخيل ويحس....14

وبعد هذه النتيجة ، راح ديكارت يتساءل عن انواع الافكار التي يملكها وطريقة الحصول عليها . فاكتشف أنها تنقسم إلى ثلاثة انواع . **فطرية وحسية وخيالية** . فقال : إن بعض الأفكار مفطور فيّ أي جلت عليه ، والبعض الآخر غريب عني أي مستمد من الخارج ، بينما النوع الثالث من تألقي واختراعي الخاص 15

فأما **الأفكار الحسية** ، فهي التي يحصل عليها الإنسان من الأشياء المحسوسة عند اتصاله بالعالم الخارج

بواسطة الحواس ، وهي أفكار لا قيمة لها من حيث المعرفة لأن مصدرها الحواس ، وما كان كذلك فهو معرفة مشوهة وغير دقيقة.

وأما **الأفكار الخيالية** ، فلا قيمة لها من حيث الموضوع لأنها من صنع خيالنا ولا وجود لها في عالمنا الواقعي ، كأفكارنا عن الغول والحصان الطائر...إلخ.

وأما **الأفكار الفطرية** ، فهي التي لا دخل للخيال والحس في تكوينها ، فهي أفكار بديهية حدسية أوجدها الله في الإنسان منذ ولادته ، فصارت تمثل أصول تفكيره وسلوكه في مراحل حياته المتقدمة . وهذه الأفكار مثل فكرة الكوجيتوا، ووجود النفس ، والكل أكبر من الجزء ، ووجود الله ، ووجود العالم الخارجي...الخ . يقول ديكارت: يكفي أن أوجه انتباهي كي أدرك مالا نهاية له من الخصائص المتعلقة بالأعداد والأشكال والحركات... تظهر حقيقتها بيّنة وتتفق تماما مع طبيعتي بحيث أني حين أبدأ في اكتشافها لا يبدو لي أنني أتعلم شيئا جديدا بل بالأحرى أتذكر ما كنت أعرفه من قبل ، أعني أنني أدرك أشيئا ، كانت من قبل في عقلي وان كنت لم أوجّه بعد فكري نحوها...16

ولقد نظر ديكارت إلى ماهية هذه الأفكار الفطرية ومصدرها من جانبين:

الجانب الأول : بين فيه أن هذه الأفكار غير قابلة للشك أو البرهنة لأن مصدرها هو الله ولأنها تتصف بالوضوح والتميز.

الجانب الثاني : بين فيه أن الإنسان يولد ولديه استعداد طبيعي للتفكير في بعض الأفكار البديهية والتسليم بها ، فقط عند اكتمال مداركه ونمو قواه العقلية ، ومن هذه الأفكار ما تعلق بقضايا الحساب والفلك والفيزياء...الخ. بمعنى أن الإنسان يولد وهو مزود بملكة فكرية تساعده على تمييز الحقائق اليقينية والتسليم بها وذلك عندما ينمو وتكتمل قدرته العقلية.

أما **وجهة النظر الأولى** ، القائلة بأن الله يزودنا بهذه الأفكار منذ الولادة ، فقد رفضها بعض الفلاسفة (الحسيين والتجريبيين). و علتهم في ذلك ، أن الإنسان المولود لا يدرك حقيقة وجوده أو وجود الله أو وجود العالم الخارجي إلا بعد زمن طويل. ودرجة إدراكه لهذه الأمور،تتفاوت زمنيا حسب درجة تعتقد كل قضية منها. لذلك فهم يرون أن الإنسان يولد وعقله كالصفحة البيضاء أي خال من أي معارف مسبقة ، وإنما يبدأ في اكتسابها شيئا فشيئا عن طريق الحواس التي تعمل على طبعها في الذهن. وقد نرد على هذا الاتجاه الرافض ، بلفت الانتباه إلى ظاهرة محسوسة ، ألا وهي ظاهرة الأصم الأبكم الذي لم يسبق له أن سمع اللغة ولا تحدث بها ، ومع ذلك نجده في تحاوره مع الاخرين يحاول أن يعبر عن أفكاره بواسطة حركات . وهذا دليل على أنه يملك بالفطرة قوة فكرية أو إنفعالية تساعد على إصدار هذه الحركات التي تعكس أفكارا ما في نفسه.

أما **وجهة النظر الثانية** ، والقائلة بأن الإنسان يولد ومعه استعداد عقلي لاكتشاف بعض المعارف البعيدة عن الحس البصري ، فقد رحب بها البعض الآخر من الفلاسفة وعلى رأسهم **كانط** kant s الذي رأى أن الإنسان يولد ولديه استعداد لأن تكون به بعض التصورات القبلية priori المستقلة عن الملاحظة أو التجربة.17

وهذا يعني أن **كانط** يوافق ديكارت في مسألة **الأفكار الفطرية** . وكذلك **سبينوزا** spinoza الذي يرى أن المعرفة هي حالة من صفاء الذهن يتم الوصول إليها بتخليص الذهن من الأفكار المبهمة التي تنشأ عن الخيال والحواس ، وعندما يعمل العقل على توضيح أفكاره ، فإنه يحصل في النهاية على الأفكار الصادقة والتي تمثل الأفكار الفطرية.18

أيضا يذهب **ليبنز** leibniz مذهب ديكارت، مدللا على ذلك بأن أفكارنا تكون أصلا في ذهننا وتأتينا من أعماقنا ، وأن أساس يقين الحقائق الكلية يكون في الأفكار نفسها مستقلة عن الحواس.19

ولقد عبر ديكارت عن هذه الفكرة في مجال اللغة عندما اعتبر اللغة خاصية مميزة للإنسان عما عداه من حيوانات أو آلات فبين أن الإنسان له قدرة فكرية فطرية تمكنه من ترتيب كلماته. حتى أن أغبى الناس أو من به خلل في النطق يمكنه أن يفعل ذلك

ويؤلف جملا تنقل أفكاره ، وفي هذا يقول ديكارت ، في كتابه مقال عن المنهج <<إن أي آلة مصنوعة على نموذج القرد أو أي حيوان لن نستطيع استخدام الكلمات أو أي علامات أخرى مثلما نستخدمها لننقل بها أفكارنا إلى الآخرين . يمكننا تصور تصميم آلة تصدر عنها كلمات ... لكنها لا تستطيع أن ترتب الكلمات بطرق مختلفة لتستجيب لمعاني ما يقال عنها ، كما يفعل أكثر الناس عجزا ... ومن العجب أنه لا يوجد إنسان مهما أشتد غباؤه أو من به لوثة لا يستطيع أن يرتب كلمات متباينة ليؤلف جملة ليوصل بها أفكاره للآخرين ، لكن لا حيوان يستطيع ذلك ...ولذلك فنحن في حاجة إلى قدر ضئيل من العقل على الأقل لكي نستطيع الكلام... >>20

إن قوله ... قدر ضئيل من العقل فيه تصريح غير مباشر بامتلاك ذهن الانسان لقواعد فطرية تمكنه من الربط بين الكلمات ليؤلف جملا تعبر عن فكره .

وبناء على ما طرح من قبل ، يتضح لنا جليا أن النظرية التوليدية التحويلية – فعلا- ذات جذور فلسفية خاصة في مسألة الملكة اللغوية.

الهوامش:

1 - نقلا عن وفاء كامل - البنيوية في اللسانيات – مجلة عالم الفكر - المجلد 26- العدد الثاني- اكنوبر/ديسمبر 1997 ص: 247

2 - انظر تشومسكي مظاهر النظرية التركيبية نقلا عن ميشال زكريا- الألسنية التوليدية والتحويلية،قواعد اللغة العربية(النظرية الألسنية) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت-1982 ط 1-ص:37

3 - أنظر ديكارت-تأملات في الفلسفة الأولى(تر:عثمان أمين)نقلا عن المهدي فضل الله-فلسفة ديكارت ومنهجه-دار الطليعة بيروت-86.ط1.ص:157-161

[4] - نشوسكي (1980 ب)نقلا عن عبد القادر الفاسي الفهري – اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية منشورات عويدات – بيروت 1986 – ط 1 ص : 42 -43

[5] - د.نوال الصراف الصايغ – المرجع في الفكر الفلسفي – دار الفكر العربي 1983 ط-ص:66-67

[6]- تشومسكي المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها واستخراجها - ترجمة د.محمد فتيح – دار الفكر العربي القاهرة 1993 ط 83-84

[7]- المرجع نفسه ص:54

[8] - أنظر د.عاد السكري نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة الديار المصرية اللبنانية القاهرة 1999 ط 1.ص:27-32

[9]- المعرفة اللغوية ص:43

10 - أنظر المرجع نفسه ص: 448 و Noam Chomsky le langage et la pensée traduit par/ louis jean calvel Petite bibliothèque payot – Paris: p 11

11- انظر عمر فروخ المنهاج الجديد في الفلسفة العربية – دار العلم للملاين-بيروت 1982 ط3-ص:38

12 - عبده الشمالي دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية درا صادر بيروت 1965 ط4-ص:18-19

13 ديكارت مقال المنهج ترجمة محمود محمد الخضري بالقاهرة 1930-ص 3 -4 نقلا عن د/ راوية عبد المنعم عباس.ديكارت والفلسفة العقلية دار المعرفة الجامعية د ت – د ط.ص:13

14- ديكارت تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى تر : كمال الحاج نقلا عن فضل الله – فلسفة ديكارت ومنهجه ص:94

15- تأملات في الفلسفة الأولى نقلا عن ديكارت والفلسفة العقلية ص:208

[16] - تأملات في الفلسفة الأولى نقلا عن فلسفة ديكارت ومنهجة ص:114

[17] - أنظر فلسفة ديكارت ومنهجه ص:115-117

[18] - الموسوعة الفلسفية المختصرة ترجمة فؤاد كامل دار القلم بيروت ص:251 نقلا عن نظرية المعرفة ص:48-49

[19] - د.علي عبد المعطي.ليبينز فيلسوف الذرة الروحية – درا الكتب الجامعية الإسكندرية- 1972 ص:239-265 نقلا عن نظرية المعرفة ص:49

[20]- نقلا عن محمود فهمي زيدان–في فلسفة اللغة – دار النهضة العربية – بيروت-1985– ص: 145